



إيران والعراق على خط الازمة

ابراهيم العبادي 2022-11-29 -

إيران في ازمة خطيرة وأوضاعها تثير القلق، هذه العبارة ليست وليدة قراءة متشائمة للأحداث وتطوراتها وردود فعل النخبة الإيرانية بمختلف اتجاهاتها الإصلاحية والاصولية، فضلاً عن تعبيرات الخط المتشدد، الذي ما زال متمسكاً بخطابه وشعاراته وأحلامه.

في صورة رمزية معبرة جمعته مع أربعة من أسلافه وزراء الخارجية السابقين، نشر وزير الخارجية الإيراني امير عبدالاهيان تغريدة، أراد منها توجيه رسالة إلى العالم الخارجي يقول فيها: إن الدبلوماسية الإيرانية متماسكة وتعمل بانسجام وتستفيد من خبرات وتوجهات الوزراء الذين خدموا في ظروف مختلفة، لكن ما أراد عبدالاهيان أن يخفيه كان الوجود والقلق وعدم الارتياح الذي عبرت عنه لغة جسد الوزراء بتعبير (علم النفس السياسي)، وهذه النتيجة يلمسها المراقب للأحداث الجارية في إيران، فالمحصلة تقول إن إيران ليست بخير وإنها تعيش أخطر ازمة داخلية منذ تأسيسها، رغم إنها واجهت أزمات خطيرة قبل ذلك، خصوصاً السنوات الأولى من عمر الثورة بدء من تمردات الاقلييات بين الاعوام (1979-1982) إلى الحرب المسلحة التي شنتها قوى اليسار (فدائي خلق، مجاهدي خلق، تودة) في السنوات الأربع الأولى من عمر الثورة، إلى الحرب مع نظام صدام -1980 1988، كل ذلك جرى في ظل حصار أميركي وتوتر في علاقات إيران الخارجية وهجوم إعلامي كبير، ودبلوماسية مرتبكة بسبب انقسام التوجهات والتيارات الداخلية، التي تراوحت بين ثورية طائشة وواقعية معتدلة.

الأزمة التي تعيشها إيران منذ موت مهسا اميني في 13 ايلول المنصرم، تنفرد عن الأزمات السابقة في كونها قسمت الإيرانيين عمودياً، وصارت تهدد شرعية النظام وتطالب بتغيير سياسي ودستوري، علاوة على اكتسابها دعماً متزايداً من الجاليات الإيرانية في الخارج (ستة ملايين) وترد كبير في علاقات إيران مع أوروبا.

أسباب كثيرة تبرر القلق عما يجري في إيران، أسباب أولها أن زخم التظاهرات لم يضعف، وإن خيارات استعادة الامن والنظام يخضع لجدل كبير بين النخبة الإيرانية، بين من يدعو إلى عدم التراجع والتنازل ويمثل هذا الخط، الأجهزة العسكرية (الحرس، الجيش) وبعض رجال الدين المتشددين، وبين من يدعو إلى الاستجابة المعقولة وإجراء اصلاحات دستورية وسياسية، وانهاء احتكار التيار المتشدد للسلطات، والتخلي عن منظورات وخطابات تسببت في قطيعة بين أجيال إيران الجديدة وطموحاتهم وقيمهم المعولمة وبين جيل الثورة الاسلامية المتراجع والمنقرض بحسب قانون التعاقب الجيلي.



الخطر في أحداث إيران الراهنة بروز رجل الدين مولوي عبد الحميد امام جمعة زاهدان (من الاقلية البلوشية السنية)، الذي صار يقدم نفسه زعيما مطالباً بالتغيير ويستخدم منبر صلاة الجمعة، ليقوم بنقد لاذع للسياسات وموجهاً للجمهور لمواصلة التظاهرات.

انتشار التحريض والدعم الاعلامي والسياسي الخارجي للتظاهرات وجنوح مجموعات نحو العنف صار يزعج السلطات كثيراً، خصوصا أن التكتيكات المستخدمة لإدامة زخم التظاهر صارت تستعيد ايام الثورة الاسلامية في الاعوام (1977- 1978 1979)، تشييع الضحايا، التجمع في المقابر، إحياء أربعينية الضحايا، إضرابات المصانع والشركات والنقابات، التظاهرات داخل الحرم الجامعي، تحطيم الرموز والصور والتماثيل، توزيع التظاهرات في مدن كبيرة وصغيرة)، وهذه الديناميكية صارت تدفع بالنقاش السياسي إلى مديات غير مسبوقة إلى حد صار رئيس البرلمان محمد باقر قاليباف وهو أحد وجوه الأصوليين المعروفة، يعلن أنه بعد استعادة الأمن في عموم البلاد، فإن الوقت حان لإجراء الاصلاحات، بينما يتصاعد الجدل بشدة حول سقف هذه الاصلاحات إن كانت ستطول الدستور والصلاحيات الممنوحة لمجلس حماية الدستور بل مساحة ولاية الفقيه!؟

الأمر المقطوع به أن إيران تعيش مخاضات كبيرة وأنها أمام خيارات محدودة، بين أن تنجح النخبة العقلانية في سوق الاصلاحات نحو استيعاب مطالب المحتجين وطمأنة الأقليات وتوسيع مساحة المشاركة السياسية، وإعادة النظر في السياسة الخارجية نحو المرونة مع الخارج، أو يتغلب الحل الأمني وتساق إيران نحو العسكرة وسيطرة منهج القوة والصدام، بدعوى عدم التنازل للقوى المدعومة من الغرب والتمسك بالمبادئ الثورية لأنها المنهج الصائب الوحيد.

كيف ستؤثر أحداث إيران على العراق؟ أن العراق هو البلد الاول الذي يتأثر لا شك بما يجري في إيران، فهذه واحدة من مسلمات العلاقة بين البلدين منذ مئات السنين، أوضح مصاديق التأثير ظهرت في عام 1979 عندما انتصرت الثورة الاسلامية، فقد ترددت أصداً هذا المتغير في أغلب شوارع العراق ومساجده، ليتحول بعدها إلى ساحة صراع قادت إلى تداعيات ومضاعفات ما زالت تتوالى حتى اليوم.

يتخوف عراقيون كثر من انعكاس أحداث إيران الراهنة أمنياً على شكل هجمات مسلحة على المصالح الغربية في داخل العراق، رداً على الدعم الغربي للاحتجاجات، كذلك ستضغط خلايا وقوى عراقية باتجاه منع العراق من الانفتاح السياسي والاقتصادي إقليمياً وغربياً، وقد تتعرض شركات ومستثمرين أجانب للمضايقات لمغادرة العراق، وربما تستهدف منشآت انتاج وتصدير النفط لهجمات، لإحداث المزيد من الاضطراب في اسواق الطاقة، بما يتسبب بارتفاع اسعار النفط، ويكون ذلك آلية ضاغطة للرد على المراهنين على أحداث



تغيير في سلوك النظام السياسي في إيران أو المتشددين المهيمنين على بنية وهرمية السلطة.

في الجهة المقابلة سيشجع أي تقدم للقوى المطالبة بالتغيير في إيران نظيرتها العراقية، لتحمل ذات الشعارات وتتحرك بالاتجاه المضاد لقوى الاسلام السياسي لا سيما الشيعي، بما يثير معركة مفاهيمية وثقافية وسياسية قد تخرج عن السيطرة وتتحول إلى صراع مفتوح، فالمعركة في جوهرها ستكون متعددة الاتجاهات (سياسية وأيديولوجية) تطول النظم والافكار والقوانين ما لم تجر مراجعات عميقة ويحصل تحديث، يلبي مصالح وحاجات الافراد والمجتمعات ضمن مواءمة عقلانية بين الدين والدولة والثقافة والمعرفة.

* الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النبأ المعلوماتية.